الملثم المجهول

سارة دريدي

اهداء :-

إلى حلمي الذي لم يخرج بعد من رحم المستحيل..

إلى حلمي الذي لم يتحقق إلى الآن..

إلى كل من تعرض للخذلان من أقرب الناس إلى قلبه ..

إلى كل من هشم قلبه..دمرت ثقته..من مات وهو على قيد الحياة..

سارة وردي

في يوم خريفيّ حيث أشجار الزيتون تهيئ ثمارها للقطاف لتكون رمز عروبة الشعب الفلسطيني ،و مصدر قوتهم ضد المحتل الظالم الغاشم ..، قرر شاب إنتماؤه فلسطين ..غايته القدس ..، و حلمه التحرير ..،ومنيّته الشهادة ..،أن يساعد وطنه؛ فارتدى ملابس الرجال وتلثّم بالكوفية الفلسطينية وتسلح بالعزيمة و الإصرار وأطلق على نفسه اسم "طارق" .

بدأ يذهب إلى المستوطنات ويقوم بإطلاق الرصاص الذي أزيزه كفيل بقتل الجنود، كان يصيب الأهداف بدقة لأنه كان يتدرب بجد لإدراكه أن الأمى ليس بالسهل على الإطلاق. مرت الأشهر وكان عدد القتلى في ازديادٍ ملحوظ حتى أنه أُشتُهر بلقب " الملثم طارق" ورغم شهرته لم يُعرف أي شئ عنه أي معلوماتٍ شخصية لا اسمه الحقيقي ولا من أين جاء .

انضم طارق إلى كتيبة ثوارٍ فلسطينيين ،فطلبوا منه أن ينزع اللثام لكنه أبى و رفض ذلك بشدة ؛ و بانضمامه هذا اشتُهِرَ أكثر فَزُرِعت الضغينة والحقد في قلوب البعض ومنهم "ملهم" الذي يحب الشهرة وو يكره من يسرق الاعجاب منه فدائما ما كان يحاول أن يوقع طارق باي شكل من الأشكال لكنه دائما ما يُخفق .

مضت الأيام، وفي يوم تسرب خبر بأن الاحتلال قد زرع قنابل و متفجرات في أرض زراعية . وأنها موقوتة.. أي أنها ستنفجر في أي لحظة .شعر الجميع بالذعر، فأُرسلت كتيبة تفكيك قنابل والكتيبة النخبة التي فيها طارق ، تسرب خبر آخر بأن القنابل ستنفجر في تمام الساعة الخامسة مساءً، فأخلوا المنطقة بسرعة وعملوا جاهدين على تفكيك القنابل إلى أن فككوها ثم أعلنوا أن المنطقة لم تعد في خطر فتجمع الأهالي؛ أرهق الجميع فجلسوا على الارض من شدة التعب إلا طارق فقد كان يتأمل غروب الشمس ..فلمح شيئا على الأرض..شيئٌ لا يصدق !!.. إنها قنبلة !!..، فصرخ محذرا : اهربوا بسرعة..اهربوا..قنبلة!! . فهرب من يستطيع الركض بسرعة أما طارق فأسرع بمساعدة الباقي في الهرب ، لكن الوقت لم يسعفه في مساعدة الجميع؛ نعم .لقد قرر التضحية بنفسه.. فأخذ القنبلة و ركض مبتعدا فصرخ أحد زملائه الثوار يدعى "عمار " : طاااارق !!لا تفعلها!!توقف!! طاااارق!!

لكن للأسف انفجرت القنبلة ؛عم الصمت الأرجاء وامتلأت العيون بالدموع ، لكن عمار استجمع قوته وكَبَت دموعه وألغى موعد الجنازة المبكر بقوله: ماذا بكم ؟! ما حالكم هذه؟! ربما لا يزال على قيد الحياة ، هيا فلنبحث عنه !! . بكلامه هذا أوقد شعلة الأمل في نفوسهم وبدأوا يبحثون عنه .

لمح "عمار" طارقاً فهرول إليه وكان اللثام قد سقط ممزقا عن وجه طارق فوجئ لِما رأى ، ذلك البطل المقدام الذي يرعب جنود الاحتلال كان في الحقيقة فتاة !! يال الصدمة !! من كان يتوقع هذا ؟! .استيقظ عمار من دهشته وخلع لثامه ولثّم به الفتاة التي كانت طول الوقت تؤدي دور الشاب طارق ..،صرخ بأعلى صوته " لقد وجدته ..!! لقد وجدته..!!" ثم اخذوها الى المشفى ولم يعرف احد بأمرها سوى عمار وبقيت غائبة عن الوعي قرابة اليوم وطيلة تلك الفترة كان يمنع اي شخص من الدخول لكي لا تُعرَف حقيقة الملثم المجهول.. استيقظت الفتاة وكان عمار موجوداً في الغرفة آنذاك .

_هل أنتِ بخير ؟

نهضت الفتاة مفزوعة .

_لا تقلقي لا أحد يعرف

_ إذن أنتَ الوحيد الذي يعلم بالأمر ؟!

_ أجل ..ولا تخافي لن أخبر أحداً .

_ شكرا لك يا...

_ عمار وما اسمك ؟

_اسمي "مجد" .

وأخذت علاقة مجد و عمار تتطور حتى أنها أصبحت تثق به ثقةً عمياء ، وأحبته بجنون ، بعد شهر خرجت مجد من المشفى فقررت أن تعترف لعمار بحبها لكن سرعان ما تراجعت ، ففي البداية أرادت أن تهاجم المستوطنة التي تقع بجوار قريتها التي كانت دائماً تنغص حياة أهالي القرية !!وبعد أن استعادت قوتها و عزيمتها ذهبت حيث خططت ..تقتل من أجل حريتها ..فجهزت نفسها وأعدت العدة، وهي تهم بالذهاب قررت وبدون تفكيرالذهاب لعمار لكي تخبره بأنها ستذهب للمستوطنة.وبالفعل ذهبت إليه وأخبرته، لكن مالم تعرفه بأن لجدران أذانٌ تسمع .. يا ترى ماذا سيحدث..؟!

وبعد ذلك ذهبت إلى وجهتها ولا ترى أمامها سوى هدفها الذي يتألق مع النجوم .. وكل ما أرادته هو النصر لتعترف لعمار بحبها .ولكن هل ضمنت أن تعود سالمة ؟..ربما تعتقل..تسجن..تجرح..تستشهد..لكن كل ذلك لم يهمها ولم تفكر بالعواقب ..لقد اختارت أن تهاجم المستوطنة كان خيارها صحيح لكن تجهيزاتها وحذرها كان ناقصا للأسف..

وصلت ..وبدأت بإطلاق الرصاص على القلوب الخائفة الواجفة. أخيراً أنهت مبتغاها وركبت سيارتها ..و ما إن أدارتها . انفجار، حطام، نيران ، لكن كيف ..؟! كيف وضعوا المتفجرات ..؟! متى وضعوها ..؟! و السؤال المهم كيف عرفوا بقدومها ..؟هل وضعوا جواسيس تراقبها..؟ولكن كيف يعرفونها فهي لم تخبر غير عمار ..لا عمار من المستحيل أن يفعل هذا ..لو كان نيته قتلها لقتلها منذ زمن فلقد سنحت له أكثر من فرصة لقتلها ، من الوغد الذي فعل هذا..من؟

خرجت مجد من السيارة في أخر ثانية لحسن حظها لكنها أصيبت بجراح خطيرة ..والمصيبة بأن جنود الاحتلال لم يتركوها وشأنها ..بل أحاطوها من كل حدبٍ وصوب ووجهوا بنادقهم نحوها ..وأغرقوها بالرصاص .. لكن رصاصة واحدة ..رصاصة من نوع مختلف اخترقت قلبها كانت من الخائن كانت تلك الرصاصة الأكثر ايلاماً .. من الخائن الذي طعن فلسطين بسكين الخيانة؟ من؟

كانت مجد تلفظ أنفاسها الأخيرة إذ بشخص ملثم يقتحم الميدان وقام واطلق قنبلة ضبابية منعت جنود الاحتلال من الرؤية ثم أخذ مجد و هرب ..

مجد: من أنت يا هذا ..؟

_ سأخبرك فيما بعد، حينما نستقر في مكان آمـ ...

لم تسمع مجد ما قال فقد أغمي عليها بسبب الوابل من الرصاص الذي اخترق جسدها لكن قبل أن يغمى عليها حذرته من نزع اللثام وأن يقوم بإحضار الطبيب "معتصم" الذي يكون أخوها ويعلم بأمرها.ثم أغمضت عينيها البنيتين.

بعد ساعتين استيقظت مجد ، ورأت أخوها معتصم .

_ أين.. الملثم ..؟

_إنه في الغرفة المجاورة ، لا تقلقي لا يعلم بأمرك.

_ شكراً لك يا معتصم. والآن كيف حالتي ؟

_ لا أعرف ماذا أقول لك يا مجد ..

_ لا تكمل .. إصابتي خطيرة..أليس كذلك ؟

_ أ..أج..أجل ..لكن بعد شهرين تستعيدين قوتك بإذن الله ..

_ إن شاء الله..

أنهى معتصم عمله وأعطى مجد الوصفة الطبية ،ثم خرج . طُرق الباب ،فوضعت مجد اللثام على وجهها ثم قالت : تفضل . دخل الملثم ، الملثم : هل انتَ بخير ؟

_ أجل أنا بخير ، شكراً لك على إنقاذي .

_ العفو ..ولكن أريد أن أخبرك أمراً مهماً.

_ تفضل .

_ الخائن الذي أخبر الجنود بمخططاتك هو ..عمار .

_ ماذا تقول ؟! ومن أنت حتى تقول هذا ؟!

خلع اللثام عن وجهه .. صدمت مجد ، لقد كان الملثم هو ملهم ..مجد: ملهم؟!

_ أجل ..أنا ملهم ، وسأخبرك بكل شيء يا طارق ، عندما ذهبت إلى عمار لتخبره بوجهتك كنت اتنصت عليكما وحين غادرتَ أنت اتصل الخائن بشخص وأعلمه بوجهتك وبعدها اكتشفت أنه اتصل بأحد قادة الاحتلال ..

صدمت مجد ولم تعرف ماذا تقول سوى أن ترثي حظها العاثر الذي ساقها إلى عمار ..لعنت قلبها الذي أحببته حتى النخاع..

_شكرا لك يا ملهم فرغم حقدك علي إلا أنك أنت من أنقذني.. ولكن كيف أثق بك ..؟ربما تخدعني وهذه خطة من أجل الايقاع بي ..

_ إذا كانت نواياي سيئة كما تقول ..لمَ أجازف بحياتي من اجل انقاذك يا طارق ؟

_ ربما .. أنا آسف لأني شككت بك يا ملهم..

_ العفو يا طارق ..

_ أنا مجد ولست طارق ..

خلعت مجد اللثام عن وجهها ..صدم ملهم ..

_ ف..فتاة ..؟!

_ قد يبدو الأمر غريبا بعض الشئ ولكنها تبقى حقيقة .. وأنا لا أخفي عليك أني قد أحببت عمار ..لقد أخطأت عندما أحببته ،كنت حمقاء حين وثقت به ..

_ يجب أن تستردي حقك من عمار ..حقك وحق حبك الذي ضاع يا مجد .

مرت الاشهر واستعادت مجد عافيتها وقررت الإنتقام من الخائن عمار..الخائن الذي خان فلسطين وخان قلب مجد المتيم بحبه.فتحرت كل شئ بخصوصه وتسللت إلى منزله ، ودخلت الغرفة التي فيها عمار .

_أهلا بكِ يا مجد كنت انتظرك ..

_ ماذا تقصد ..؟

فجأة اغلق الباب خلفها ، فاستدارت إذ به ملهم .. نعم ،ملهم ..فقد تبين أنه خائن ايضا ..

مجد : حتى انت يا ملهم؟! هل تعاون كل شئ ضدي الآن..؟! لا يهمني العدد سأقضي عليكما أيها الخائنين

عمار: الكثرة تغلب الشجاعة يا مجد ان كنت شجاعة اصلا ..و كل شئ حدث بتخطيط مسبق ،إنقاذك من قبل ملهم كان مخطط له لنعرف من يتعاون معك .

مجد : أيها الخونة ..!! أكُل هذا من أجل تلك النقود الفانية أبعتم الوطن من أجلها ..أغبياء ..؟!

عمار : لا تصرخي ففي هذه الغرفة عوازل صوت ..لقد قلت لك كل شي مخطط له ..

ملهم : استعدي لتلقي حتفك ..

مجد : لا تحلم بهذا..

أنزلت مجد اللثام عن وجهها وابتسمت بخبث وأكملت قائلة : إذا مت فلن أموت وحدي أيها الخونة ..!!

وأخرجت مسدسها..وصوبته ناحية عمار وقالت : فلتعلم جيدا يا عمار أني أحببتك من صميم قلبي و منحتك ثقتي لكنك خيبت ظني ..سقطت من عيني أيها الخاااائن..!!، وأطللقت رصاصةً عليه تحمل غلاً وحقداً وخيبة ، وأُطلقت رصاصة عليها من ملهم ..

وبدأ إطلاق النار يزيد أكثر فأكثر..وكانت المعركة تتأرجح لصالح ملهم و عمار ..اكتفت مجد من هذه المهزلة فأخرجت قنبلة متفجرة وقالت : أنا غبية لأني وثقت بكما ..والآن ودعا نفسيكما . ترجاها عمار و ملهم لكنها قد صممت على التضحية بنفسها نطقت الشهادة وفجرت القنبلة ..فلقد خانا وطنيهما قبل أن يخوناها..ومن يخون وطنه لا يستحق الحياة ..

احتضنت الارض جثة مجد وضمتها الى صدرها ، وهنا توقفت حياتها عند هذا الرمق .. انتهت بطولات الملثم طارق ..لقد كانت تلك الايام مجرد تمثيلية على مسرح الحياة وقد كانوا الأبطال أمام الجميع والخونة خلف الستّار ..

مجد سقطت ..لكنها لم تسقط بسبب الألم ، ولا بسبب غدر الرصاص ، إنما بسبب الخيانة ..وخيبة الأمل ممن وثقت بهم ووضعت روحها امانة بأيديهم " فهزائمنا لم تأتي ابدا من اعدائنا بل من أصدقائنا و الأقرب الى قلوبنا"*..

انتهت

بقلم : سارة دريدي..

2023